مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد01 جانفي2023 ص ص316ـ341
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

التعليم الحر بوادي مزاب إبان الاحتلال الفرنسي:

مقوماته، مظاهره، آثاره

Free education in the Oued Mzab during the French occupation, Its components, manifestations, effects

معمر شعشوع♦ جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف m.chachoua@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2022/07/20 تاريخ القبول: 2023/01/23 تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص باللغة العربية:

هذه الدراسة تسلط الضوء على مقومات ومظاهر الحركة التعليمية بوادي مـزاب بالجنوب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، فرغم الصعوبات والتحديات التي واجهها التعليم العربي؛إلا أنه بقي صامدا أمام محاولات الطمس والتشويه من طرف الاحتلال الفرنسي.

وقد ظهر في وادي مـزاب نوعين من التعليم: التعليم التقليدي الذي بقي محصورا في المساجد والكتاتيب(المحاضر)، والتعليم العربي الحديث، تجلت مظاهره في المدارس العربية الحرة، والمعاهد التي أسسها رواد الحركة الإصلاحية مع بداية القرن العشرين.

لقد ساهم التعليم بنوعيه التقليدي والحديث في انتعاش الحركة التعليمية، والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية، من لغة ودين وعادات وتقاليد من جهة، والصمود أمام السياسة الثقافية الاندماجية الفرنسية من جهة أخرى، ولعل نجاح هذين النمطين من التعليم، يعود إلى جهود العلماء المصلحين وتجربتهم الناجحة في التعليم بوادي مـزاب؛ التي جعلت المجتمع المزابي متماسكًا اجتماعيًا ودينيًا وثقافيًا.

الكلمات المفتاحية: مـــزاب؛ التعليم؛ الطلبة؛ الإصلاح؛ الاستعمار.

.

Abstract: This study attempts to highlight the components and manifestations of the educational movement in the Oued Mzab

♦ المؤلف المرسل

during the French occupation, despite the difficulties and challenges faced by Arab education;

Two types of education emerged in the valley: traditional education, which remained confined to mosques and schools, and modern Arab education. Its manifestations were manifested in Arab free schools and institutes founded by the pioneers of the reform movement during the first quarter of the twentieth century.

Education, both traditional and modern, has contributed to the revival of the educational movement, and to the preservation of the elements of national character, from language, religion, customs and traditions on the one hand, and resistance to the French cultural and integration policy on the other hand. Perhaps the success of these two types of education is due to the absence of the Oued Mzab Sufi methods and the successful experience of education in Oued Mzab, which made the Mzabite community coherent socially, religiously and culturally.

Keywords: Mzab; education;students; reform; colonialism.

مقدمة:

أدركت الحركة الإصلاحية الدور الخطير للتربية والتعليم كأساس للنهضة الحضارية والفكرية، فأولت عناية خاصة للحركة التعليمية بإنشاء دور التعليم من مدارس ومعاهد حرة، لمجابهة السياسة الفرنسية، التي كانت تهدف إلى القضاء على مقومات الأمة الجزائرية .

من هذا المنطلق، سعى علماء وادي مـزاب إلى تطوير التعليم ومناهجه، فعكفوا على تشجيع الطلبة وتحفيزهم لطلب العلم، وتوجيه البعثات الطلابية إلى تونس والمشرق العربي، ولعل الإشكال الذي يتوجب طرحه هنا: ما هي أسس الحركة التعليمية في وادي مزاب ومقوماتها؟، وإلى أي مدى ساهمت في الحفاظ على الشخصية الوطنية؟ سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية معتمدين المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، لإبراز أبعاد الحركة التعليمية بوادي مزاب، وأثرها على المجتمع الجزائري.

1- جهود علماء الإصلاح في التعليم خلال العصر الحديث:

إن مسيرة الحركة التعليمية في وادي مـزاب تعود إلى قرون ماضية، حيث تحمل العلماء الأوائل عبأها، وأسسوا لهذه الحركة، وخرّجوا جيلاً متعلمًا يؤمن بالإصلاح

والتعليم؛ لهذا ظل التعليم في مدن وادي مـزاب شيئًا مقدّسا محترمًا، ينظر إليه بكثير من التقدير والوقار.

1.1- جهود الشيخ الأفضلي:(1126هـ-1714م/1202هـ -1788م)

الشيخ يحي بن زكـرياء الأفضلي[1] من بين المصلحين الذين أسّسوا للتعليم، وهو أحد رواد النهضة الإصلاحية الحديثة بوادي مزاب، وإليه يعود الفضل في إرساء البذور الأولى للإصلاح خلال القرن الثاني عشر الهجري / القرن الثامن عشر الميلادي، حيث قام بدور مهم في نشر العلم ومحاربة الجهل والتخلف في المجتمع المزابي

و عرُف عن الشيخ الأفضلي سعة العلم والتضلع في الفقه واللّغة والتفسير، اكتسب علمه من رحلاته إلى أصقاع العالم الإسلامي، حيث زار جـربة بتونس وأتم دراسته هنا، ثم اتجه إلى المشرق العربي وحضر دروس جامع الأزهر الشريف؛ ووكالة الجاموس بمصر[2] والمدرسة الإباضية [3].

بعد عودته من الرحلة العلمية، انتصب الشيخ ألأفضلي للتدريس والوعظ بالمساجد، ودعا إلى محاربة الجهل والتخلف، وتوعية عامة النـــاس وتنويرهم و" ظل يكافح فساد مجتمعه ويقوم اعوجاجه ...حتى أذعنت النفوس إلى رئاسته، وكان جديرا أن يلقب بمجدد النهضة العلمية الإصلاحية بمـزاب "[4]

انكب الشيخ الأفضـــلي في منهجه الإصلاحي على التربية والتعليم، واهتم بتعليم الناشئة وتهذيبها على الأخلاق والقيم الصحيحة، واتخـــذ من مسكنه دارا للعلم

---

1 أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي (1126هـ-1714م/1202هـ -1788م) من علماء القرن 12 هـ من بني يزقن، تفرغ للتعليم والتدريس، ترك بعض المؤلفات عبارة عن رسائل وشروح وحواشي وقصائد للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الاباضية، ج02، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ/2000، ص 967.

2 تأسست وكالة الجاموس عام 1626م، وتقع الوكالة في الحي الطولوني قرب جامع أحمد بن طولون بالقاهرة، وسخّرت جهودها لخدمة طلاب العلم الدارسين في الأزهر من المغرب العربي (جربة-وادي ميزاب-جبل نفوسة) وسكناهم والإنفاق عليهم وإقامة حلقات العلم وتزويد الوقف بمكتبة تضم مختلف أنواع الكتب والمراجع.للمزيد ينظر: سعيد بن سليمان العيسائي، نحو تواصل ثقافي حضاري بين الشعوب "وكالة الجاموس " أنموذجا، الموقع الالكتروني https//alroya.com.

3محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج01، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ص ص266-270.

4 نفســـــه، ص ص 266-267.

لتلقين تلامذته العلوم الشّرعية واللغة العربية، ولزم داره خمس عشرة سنة، لا يخرج منها إلاَّ لضرورة .

وقد أقبل الناس على حلقات ودروس الشيخ، نهلوا من علمه مختلف العلوم والفنون، فازدهرت مجالسه وذاع صيته، ونال احترام محبيه من تلامذته، وتحولت داره إلى مدرسة أو شبه معهد مستقل بوادي مزاب[5].

ساعده في التدريس أحـــد تلامذته المجتهديـن الشيخ عبد العزيـز الثمـيني[6] - الذي تولى فيما بعد النهضة الإصلاحية والتعليمية بعد وفاة شيخه – خاصة عندما أقبل على دروسه التلاميذ والطلبة من خارج وادي مزاب، من واحات ورجلان (ورقلة) وواد ريغ

على العموم فإن التجربة التعليمية للشيخ الأفضلي رغم تواضعها، يمكن أن نعتبرها اللبنة الأولى للنهضة العلمية والإصلاحية بوادي مزاب؛كان لها نتائج طيبة في إرساء معالم النهضة التعليمية بالمجتمع المـزابي، ومحاربة الجهل والتخلف، رغم المعارضة الشديدة التي واجهها من بعض المحافظين المعارضين لمنهجه التعليمي والإصلاحي، الذين اتهموه بالمروق عن الدين، ومنهجه بالبدعة المخالفة للشـــرع .

ومع ذلك استطاع أن يكـــون جيلا يؤمن بفكره الإصلاحي، وتبنّوا منهجه التَّعليمي، وتحملوا بعده عبء الحركة التعليمية، كالشيخ عبد العزيز الثميني أحد تلامذته الذي أتم مسيرة شيخه التعليمية والإصلاحية[7].

2.1- جهود الشيخ عبد العزيز الثميني(1130هـ/1718م-1222هـ/1808 :

الشيخ عبد العزيز الثميني من التلاميذ الذين عاضدوا حركة الشيخ الأفضلي وتأثّـــروا بمنهجه ودعـــوته، لهذا كان من أشد المتحمّسين لنشر الفكر الإصلاحي من بعده، ورث عن شيخه مؤلفاته وكتبه التي اعتمد عليها كثيرا في التدريس بالمدارس

5قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر(من 1157هـ/1744م- إلى 1382هـ/1962م)، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، كلية العلم الإسلامية – الخروبة ، جامعة الجزائر، 2009/2008 ، ص 98.

6 عبد العزيز الثميني(1130هـ/1718م-1222هـ/1808م):من علماء الإصلاح بوادي ميزاب، تتلمذ على يد الشيخ الأفضلي، انتصب للتدريس، وواصل المسيرة التعليمية لشيخه، كما تصدى للإصلاح الاجتماعي في مجتمعه، ترك العديد من المؤلفات في الشريعة والفقه وعلوم الحديث والمنطق وعلم الكلام.للمزيد ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية ، ج03، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1421هـ/2000، ص 532-533.

7 محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص 270.

والمساجد، وتقاطر الكثير من التلاميذ والطلبة على مجالسه، نهلوا من حلقات دروسه من داخل وادي مـزاب وخارجه، فكان الشيخ الثميني من العلماء الذين يشد إليه الرحلة لسعة علمه، وتبحره في مختلف العلوم النقلية والعقلـــية .

نجحت جهوده التعليمية في إعداد جيل من التلاميذ المتشبعين بالفكر الإصلاحي والتربوي، الناقمين على أوضاع مجتمعهم الذي يتخبط في الجهل والتخلف لذلك حمل بعضهم نهجه الإصلاحي، ودخلوا في حرب مع المحافظين الرافضين لكل حركة تجديد وإصلاح[8] .

كان منهجه الإصلاحي يعتمد على ركيزتين أساسيتين أولا :الاهتمام بالجانب التربوي والتعليمي، لإعداد جيل متعلم يؤمن بالإصلاح وينهض بالمجتمع الذي يئن تحت الجهل والجمود، ثانيا:الإهتمام بالإصلاح الديني والإجتماعي لمحاربة مظاهر البدع والخرافات، حيث دعا إلى التجديد والإجتهاد، لكن دعوته اصطدمت بالمحافظين، الذين عارضوا حركته التعليمية والإصلاحية[9] لهذا جنح إلى تغيير منهجه الإصلاحي وأسلوبه المباشر المتشدّد في الإصلاح، الذي لم يرض معارضيه ومنتقديه، فاعتزل التدريس وانكب على التأليف[10] .

ترك الشيخ الثميني الكثير من المؤلفات في العلوم الشرعية والعقيدة وعلم الحديث والفقه، شكلت ثروة علمية ومرجعًا مهما للمذهب الإباضي، كان لها صدى في بعث الحركة العلمية والإصلاحية بوادي مزاب وخارجه.

لقد كانت جهود الشيخ الثميني بـــــارزة في المجال التعليمي والتربوي، حيث استطاع أن ينقل المجتمع المـزابي نقـــــلة نوعية، ونجح في تخريج جيل متعلم مؤمن بالفكر الإصلاحي[11].

3.1 الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش(1237 هـ- 1332 هـ/1821- 1914م) :

الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش[12] هو أبو النهضة العلمية والإصلاحية بوادي مزاب بدون منازع، نال منزلة عظيمة في عصره، ولقب بالقطب، ترك بصمة فكرية

8قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية...، مرجع سابق ، ص98.

9 قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النّهضة الإصلاحية...، مرجع سابق ، ص98.

10نفســـــــه، ص 103.

11أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ج02 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 ، ص74.

وإصلاحية، كان له أتباع كثيرون تعلقوا بدعوته، وتشبعوا بفكره الإصلاحي، خاض جهودا كبيرة لمحاربة الجهل والتخلف، ونشر العلم واللغة العربية، ومحاربة الإستعمار.

تتلمذ الشيخ اطفيش علي يد الشيخ عبد العزيز الثميني، وتأثـــر بأخلاقه وفكره "... كان يقول في كل مناسبة" إن فضل الشيخ عبد العزيز الثميني علي كبيـــر جدا ..."[13].

واجه الشيخ اطفيش الكثير من التحديات، فقد كان عصره عصر اضطراب، حيث كان وطنه يرزح تحت الاحتلال الفرنسي، وتدهورت الحياة العلمية في زمانـــه، وطغى على مجتمعه الكثير من الجهل والتخلف، وانتشرت البدع والخرافات.

لهذا سعـــى الشيخ جاهدا لمحـــاربة هذه الآفات والأمراض التي طغت على مجتمعه، فحاول أن يحرر عقول الناس وينشر العلم؛ فكانت فلسفته الإصلاحية ترتكز على مجالين حيويين أولا :التربية والتعليم، ثانيا : الإصلاح الديني والإجتماعي .

فبالنسبة للمجال الأول فقد أولى الشيخ أهمية كبيرة لـــه، وعكف على تربية النشء ، وتعليمه لتحقيق النهضة العلمية والحضارية، فانتصب للتدريس ليلا ونهارا " فأحب القطب مهنة التعليم لمزاجه الديني أيضا، لأنه رآها أكبر عبادة، كما أحبها لغيرته على الدين والأمة لأنها وسيلة الإنقاذ من الجهالة، وسبب النهضة والتقدم والارتقاء فأقبل القطب على التـــربية والتعليم منذ شبابه الباكر، واستمر فيها إلى أن انتقل إلى ربه، وكان ما أمضاه من عمره مجاهدا في ميدان التربية والتعليم إحدى وثمانين سنة "[14].

إن منهج الشيخ اطفيش يتمحور حول تربيـــة النشء وتعليمه، فإذا نبت الطفل على المباديء والأخلاق الحميدة، يكون ذو شخصية قوية ومستوية، راسخا في العلم لا يتأثر بالتيارات الدخيلة من جهل وتغريب وإلحاد، كما أن شخصية الشاب تكون مهذبة مبتعـــدًا عن الانحرافات الأخلاقية من معاصي وموبقات؛ لهذا كانت الاستقامة في السلوك والتمسّك بالدين شرط لقبول التلميذ في معهد القطب، وقد شدّد عليها الشيخ

12امحمد بن يوسف اطفيش (1237 هـ- 1332 هـ/1821- 1914م)أحد العلماء البارزين ببني يزقن، من رواد النهضة والإصلاح بوادي ميـــزاب ، أنشأ معهدا للتدريس ببني يزقن ، تخرج على يديه الكثير من العلماء والمصلحين، كما ترك الكثير من التأليف في شتى العلوم في تفسير القرآن الكريم ، والفقه ، من أشهر كتبه " شرح كتاب النيل وشفاء العليل "، للمزيد ينظر : معجم أعلام الإباضية ، ج2، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009، ص 399 وما بعدها .

13 محمد علي دبوز ، مرجع سابق، ص 303.

14 نفســـه، ص 358

وألـــزم بهـــا الأولياء لإلحاق أبنائهم بالمعهد الذي أصبح قبلة الطلبة من قرى وادي مزاب وخارجه من تونس وليبيا.[15]

وقد تقاطر الطلبة على معهد الشيخ بوادي مزاب، نهلوا من معين الشيخ مختلف العلوم والمعارف العقلية والنقلية، فتخرج على يده جيل معتـــزّا بشخصيته، مقتنعا بالفكر الإصلاحي متشبعا بالثقافة الإسلامية، وكانت النهضة على أيديهم قائمة في مجالات الحياة، حملوا بعـــده عبء النهضة العلميةوالإصلاحية، وأتموا مسيرة شيخهم وفق المنهج الذي أراده بالوفاء والإخلاص، من بينهم تلميذه الشيخ إبراهيم اطفيش[16]، وأبو اليقظان إبراهيم ، والشيخ صالح بن عمر لعلي ، ومحمد بن صالح الثميني[17] وغيرهم .

الملاحظ أن جهود الشيخ اطفيش ساهمت في بعث النهضة العلمية بالجنوب الجزائري، وأصبح وادي مزاب مركز إشعاع علمي يحج إليها العلماء والطلبة من داخل الجزائر وخارجها[18] .

كما قاوم الإستعمار الفرنسي وسياسته التنصيرية والتغريبية، واستطاع الصمود في وجه هذه التيارات التي حاولت تمزيـــق النسيج الاجتماعي والثقافي لأبناء وادي مزاب "... وواجه الأهوال التي أحاطت بـــه من الجهلة والحساد والمستعمرين، وظل يجالدها إلى أن انتصر عليها جميعا، فحقق أماله في الحياة "[19]

15قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، مرجع سابق، ص 119.

16 إبراهيم اطفيش (1886-1965)أحد رواد الإصلاح، تلقى تعليمة الأولي على يد عمه القطب الحاج محمد بن يوسف اطفيش، انضم إلى الحزب الحر الدستوري التونسي، نفته السلطات الاستعمارية إلى مصر عام 1923م واحتك بالنخبة المصرية من بينهم محب الدين الخطيب وأحمد زكي باشا، أسس مجلة المنهاج علم 1925 التي كشف فيها عن مخططات السياسة الاستعمارية ودافع عن القضية الفلسطينية، شارك في المؤتمر الإسلامي عام 1931م، كانت حياة الشيخ اطفيش حافلة بالنشاط السياسي والإصلاحي، ترك مؤلفات غزيرة في الفقه الاباضي والتاريخ، وحقق الكثير من المخطوطات في التراث الإباضي والعربي للمزيد أنظر محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الجزائر، 2013م.وينظر أيضا:. بوراس الناصري عبدالله بن محمد، سبيل الخلود أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، الجزائر، مطبعة الشهاب، ط1965م.

17 محمد الثميني(1314هـ/1897م-1390هـ/1970م) أحد أعلام واد مزاب، درس بتونس، وكان له نشاط سياسي وعلمي، حيث كان يشرف على البعثات الطلابية المزابية بتونس، أسس مكتبة الاستقامة التي كان يرتادها الطلبة، اهتم بطبع كتب التراث الاباضي.للمزيد ينظر:معجم أعلام الاباضية، ج02، ص 383.

18 قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، مرجع سابق، ص 119.

19 محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج2 ، مرجع سابق، ص 373.

يشير محمد علي دبـــوز أن جهود الشيخ القطب التعليمية والإصلاحية، عادت بفائدة كبيرة على نهضة الجنوب الجزائري ، "... فهو الذي ضمن بقـــاءها ودخل بها شبابها، وهو الذي جاءته البعثات العلمية من مدن وادي مزاب كلها دون غيرها، ثم رجعت إلى أوطانها فبث فيها النور، وطهرها من الجهالة، ودفعت بـــها بقوة في طريق النهضة الحديثة ...فلولا القطب لقضى أنصار الجهل والفساد والجمود والإستعمار على ما أنشأه أبو زكرياء والشيخ عبد العزيز الثميني، فيظل مزاب على الجهالة التي تسود الصحراء ..."[20]

وهكذا مع بداية القرن العشرين بدأت بوادر النهضة العلـــمية والإصلاحية تأتي أكـــلها في قرى ومدن وادي مزاب، وتحمل رهط من العلماء والمصلحين أعباء النهضة وحاربوا الجهـــل ومظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي، رغم ما واجهوه من معارضة من طرف الإستعمار الفرنسي وعملاءه .

2- دور هيئة العـــزابة في نشر التعليم القرآني:

تعد هيئة العزّابة[21] من أهم وأسمى الهيئات الدينية والاجتماعية في وادي مزاب، ضم مجلسها خيرة العلماء والمفكرين، ومن المهام المنوطة بهذه الهيئة الإشراف الكامل على مختلف الشؤون في المجتمع المزابي دينيًا وتعليميًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا[22].

بدأ نظام العزابة في مرحلة مبكرة في توجيه التلاميذ والطلبة للتعليم، وتقويم سلوكهم، وغرس فيهم الصفات والقيم الحميدة التي يتحلون بها لخدمة المجتمع، ويُعد المسجد مقر مجلس العزابة، حيث يلتزم الطلبة بالنظام الداخلي وفق قواعد ومناهج معينة.

---

20 نفســـه، ص 385.

21 أول من أطلق لفظ " عزابي" كان أيام أبي عبد الله محمد بن بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها " لذلك صار يدعى العزابة، ووضع أبو عبد الله محمد بن بكر شروطا للالتحاق بالهيئة وحدد أعضائها، للمزيد ينظر :سامية مقري، التعليم عند الاباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة(296هـ-409/909-1018م) مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2005/2006م، ص 71.ينظر أيضا: احمد حشاني:" نظام العزابة ودوره في تامين التماسك الاجتماعي للمجتمع الاباضي في منطقة وادي ميزاب"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 09، ديسمبر 2020

22أحمد حساني، مرجع سابق ، ص 86.

تجلى دور هيئة العزابة في المحافظة على التعليم القرآني وتحفيظه للناشئة، والعمل بمبادئه، والمساهمة في تأسيس جمعيات خاصة بالشباب لتوجيههم وإرشادهم، وحثهم على التمسك بالدين الإسلامي، والابتعاد عن المحرمات والانحرافات الاجتماعية، وفي هذا الصدد يشير الأستاذ محمد ناصر قائلا:" كانت المسؤولية هي أهم ما تقوم به في عهود نشأتها الأولى، بل إن تربية النشء والعناية بتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، كانت المهمة الوحيدة التي أنشئت من أجلها، وهذا إدراك من علماء المذهب وشيوخه أن التربية هي أهم الوسائل التي تنشئ الأجيال المسلمة عقيدة وعملا"[2423].

لقد اهتمت هيئة العزابة بالإشراف على التعليم، وإتاحة الفرصة للمتعلمين ليحصلوا على كامل حقوقهم، ومساعدة الطلبة في المعاهد والجامعات، وتقديم الإعانة المالية والمعنوية للباحثين لمزاولة دراساتهم خارج ديارهم، مما ساهم في انتعاش الحركة التعليمية من جهة والمحافظة على تماسك المجتمع الإباضي من جهة أخرى .

3- تطور التعليم بوادي مــزاب خلال القرن العشرين:

مع مطلع القرن العشرين شهد وادي مزاب نهضة علمية، متأثرا بعوامل داخلية وخارجية، كان على رأسها عوامل الحرب العالمية الأولى، وتأثير حركات الإصلاح في المشرق العربي، وظهور الصحافة والنوادي الفكرية، والبعثات الطلابية المزا بية إلى تونس.

كما أولت الأوقاف الإباضية عناية خاصة للتعليم، وقدمت خدمات اجتماعية وثقافية جليلة، تكفلت جمعيات خيرية عريقة بالإنفاق على المدارس الحرة، والتي كانت جل مداخلها من الوقف الإباضي، وتبرعات المحسنين [25].

3-1 المدرسة الصديقية ودورها التعليمي:

23 محمد ناصر، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مكتبة الضامري، الجزائر، 1983، ص 17

24 مصباح عيسى- باجو مصطفى، الأبعاد المقاصدية لنظام حلقة العزابة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، م13، ع(2020)، ص929.

25 بلحاج أوزايد، بوسليم صالح، الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب ودورها الاجتماعي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، م14، ع 2، 2021، ص 726.

تعد المدرسة الصديقية أول مدرسة عصرية قرآنية، أسسها الشيخ عباس بن حمانة[26] الذي ترأس جمعية خيرية باسم (الجمعية الصديقية الخيرية للتربية الإسلامية والتعليم والإصلاح الاجتماعي)، تولى أمانة المال الشيخ الحاج عمر العنق[27]، بمساعدة أعضائها الناشطين " محمد بن بكير العنق"[28] و" محمد كلفو بن داود" و" الحاج بكير المرموري بن عمر"[29] وغيرهم، كانت مصادر تموين المدرسة من التجار المزابيين وتبرعاتهم وزكواتهم[30].

ويشير سعد الله أن تأسيس هده المدرسة جاء نتيجة غيرة بعض الرواد على اللغة العربية، فأسسوا أول مدرسة قرآنية عصرية حرة سنة 1913م، وقد ساعدت عوامل على تجسيد هذا المشروع، من بينها سياسة الإصلاحات في عهد الحاكم العام شارل جونار وبروز الصحافة والجمعيات والنوادي الفكرية والثقافية لاسيما بالعاصمة وقسنطينة، وكذا زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر عام 1903م، وانعقاد مؤتمر المستشرقين عام 1905م، وفرض التجنيد الإجباري عام 1912م.

لعل أهم دافع في نظر الأستاذ سعد الله هو تأثر المزابيين بالحركة التعليمية التونسية، فأرادوا تأسيس مدارس في الجزائر مشابهة في تونس كالمدرسة القرآنية التي

---

26 عباس بن حمانة :أحد رواد النهضة الفكرية، ويعتبر من الرجال المتنورين، أسس المدرسة الصديقية وهي أول مدرسة عصرية بالجزائر تنشر التعليم وفق مناهج عصرية متطورة، كما عارض التجنيد الإجباري، ونظرا لنشاطه السياسي والتعليمي المناوىء للاحتلال الفرنسي، فقد أعدم بضربة فأس على رأسه، للمزيد ينظر : محمد على دبوز ، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، ج2 ، مرجع سابق، ص 151.

27 عمر بن إبراهيم العنق:(1300هـ/1882م-1375هـ/1956م)علم من أعلام التربية والإصلاح، ومن كبار التجار المزابيين، درس بجامع الزيتونة، ساهم في تأسيس الجمعية الصديقية بمدينة تبسة، وتولى أمانة مال الجمعية، وكان عضوا في إدارة المدرسة، وعندما أفلست تجارته تفرغ للتدريس في قسنطينة وبسكرة للمزيد ينظر :معجم أعلام الإباضية، ج02، ص 301.

28 محمد بن بكير العنق:أحد أعلام بني يزقن بمزاب، درس في معهد القطب اطفيش، ساهم في العمل التجاري والعلمي، وعاضد حركة عباس بن حمانة في تأسيس الجمعية الصديقية ومدرستها التي مولها من تجارته.للمزيد ينظر:معجم أعلام الاباضية، ص ص 372-373.

29 بكير بن عمر المرموري(ح1913م):من التجار المزابيين بتبسة، ساند عباس بن حمانة بأمواله في تأسيس المدرسة الصديقية، وتبرع هو وأخوه إبراهيم وعيسى بدار مقر للمدرسة. لمزيد ينظر:معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، ص94.

30 علي عيادة، مظاهر الحركة التعليمية الحرة بمنطقة تبسة 1913-1954، مجلة روافد للدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية المجلد 06(عدد خاص)، سنة2022، ص200.

أسسها الشيخ " البشير صفر"[31] عام 1907م، التي ذاع صيتها ونجحت نجاحا كبيرا، ومدرسة السلام التي أسسها الشادلي المورالي[32].

كانت المدرسة الصديقية تقع في بناية من أربعة طوابق تبرع بها الحاج بكير بن عمر المرموري، تم تأثيثها بكل الوسائل والتجهيزات العصرية المتمثلة في السبورات والكراسي والمقاعد، بها مكتبة وصيدلية ومطبخ ومرقد[33].

أما عن مناهجها التعليمية[34] فقد كانت عصرية، يشمل مقررها المدرسي مواد القرآن الكريم، والتربية الإسلامية والأخلاق والتاريخ الإسلامي، وتاريخ الجزائر، والجغرافيا والرياضيات، إلى جانب الرياضة البدنية واللغة الفرنسية، واستقدمت لها خيرة المعلمين من تونس وهما:" أحمد بن صالح" الذي تكفل بتدريس اللغة العربية، وزميله " محمود بن محمد" بتدريس اللغة الفرنسية [35].

غير أن هذه المدرسة لم تعمر طويلا، فأغلقتها الإدارة الاستعمارية، وشردت معلميها، وسجنت مديرها وأعدمته[36].

3-2-البعثات الطلابية المـــزانية إلى تونس :

يبدو أن أولى البعثات الطلابية المـزانية التي توجهت إلى تونس كانت عام 1914م[37]، ويربط بعض الباحثين هذا التاريخ الذي تزامن مع غلق المدرسة الصديقية

31البشير صفر(1865-1917): أحد أعلام النهضة والفكر في تونس، تأثر بالنهضة والإصلاح في عهد الوزير خير الدين التونسي، التحق بباريس ليتم دراسته عام 1880-1881م، ثم عاد إلى تونس وانخرط في النشاط الثقافي والإصلاحي والسياسي، ترك بعض المؤلفات في التاريخ والجغرافيا، للمزيد ينظر:محمد البشير صفر، مفتاح في التاريخ، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1928.

32أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، ط01، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 241-242.

33 علي عيادة، المرجع السابق، ص 201.

34 ينص برنامج المدرسة على تكوين لمدة ثمان سنوات، ويحق للتلاميذ القادمين من بعيد الاستفادة من الإقامة الداخلية مقابل أن يدفع التلميذ مبلغا رمزيا لإدارة المدرسة للمزيد ينظر:علي عيادة، مرجع سابق ، ص200 ومابعدها..

35 علي عيادة، مرجع سابق، ص201.

36 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 243.

37 يشير الجابري أن أولى البعثات العلمية الميزابية حلت بتونس بداية من 1917، أي بعد البعثات الباديسية بأربع سنوات والواقع أن البعثات الطلابية المزابية بدأت في مرحلة مبكرة مع بداية القرن

بتبسة، وتشريد معلميها، والتي كان على رأسها الشيخ عباس بن حمانة، حينها قرر بعض أولياء الطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم بنفس المدرسة إرسال أبنائهم إلى تونس لإتمام الدراسة.

الجدير بالتنويه هنا، أن طلبة وادي مـزاب كانوا يشدون الرحلة إلى مدن تونس وحواضرها، لقربهم الجغرافي من الناحية الشرقية لتونس من جهة، وأيضا لتواجد الجالية الإباضية بمدن تونس خاصة بمنطقة جربة[38] بغرض التجارة من جهة أخرى [39].

ويرى بعض الباحثين أن هناك عامل آخر عجل بنقل بعض الطلبة المزابيين إلى تونس، وهو فرض التجنيد الإجباري على أبناء وادي ميزاب عام 1912م، مما حذا ببعض الأولياء على إرسال أبنائهم خُفية إلى شمال الجزائر أو إلى تونس، وبالتالي يتعذر على سلطات الاحتلال الإمساك بهم ومتابعتهم، أو إحصائهم ضمن صفوف المجنّدين، لذلك اغتنم الطلاب هذه الفرصة للتسلل إلى تونس لمزاولة الدراسة [40].

فرغم الظروف الصعبة التي كان يكابدها الطلبة والعلماء بوادي مزات، وأوضاعهم الاجتماعية القاسية في السعي وراء لقمة العيش بوادي مزاب، إلا أنهم كانوا يتحدون الظروف بعزيمة وإصرار، لشغفهم لطلب العلم، وكانوا يغامرون في تجاوز الحدود وتجشم عناء السفر " ... مما يجعل الكثير منهم ينقطع في بداية الطريق أو في وسطه في أحسن الأحوال"[41].ومع ذلك فان علماء وطلبة وادي مزاب لا يكتفون بما يتلقونه من علوم ومعارف، ويرغبون في الاستزادة للتحصيل العلمي، والتفكير في السفر إلى البلدان

العشرين على شكل أفراد، ثم أخذت شكل جماعات منظمة ومؤطرة منذ عام 1913 للاعتبارات التي أشرنا إليها سابقا للمزيد ينظر: محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962) ، دار الحكمة ، الجزائر، 2007.

38 كانت مدينة جربة مقصد التجار والعلماء الاباضيين، وتكفل الأعيان بجمع الأموال وبالأوقاف الكثيرة التي أوقفت لطلبة العلم والأعمال الخيرية، لهذا استقطبت المدينة الفضلاء والعلماء والطلبة، للمزيد ينظر:عبدالقادر عزام عوادي، مرجع سابق، ص 43.

39 معمر شعشوع، الشيخ أبو إسحاق اطفيش وقضايا المشرق العربي(1888-1965)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، 2011-2012.ص 15.

40 الجابري ، المرجع السابق ، ص 99.

41 قاسم بن احمد الشيخ بالحاج، آثار النهضة العلمية التونسية في فكر الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خلال القرن العشرين، مجلة الحياة، ع 11، غرادية (الجزائر)، 1428هـ/2007م، ص 215.

المجاورة ذات الحظائر العلمية الزاهرة لأجل الاستفادة من علومها والاغتراف من معينها، والجلوس إلى حلق علمائها بجامع الزيتونة والمدارس المحيطة به".[42]

نظرا للحالة الميسورة للتجار الإباضيين في تونس، فإنهم وفروا للطلاب المزابيين أسباب الراحة والإستقرار في تونس، وخصصوا لهم محلات للإقامة والسكن، وكل المساعدات التي يحتاجونها، وشجعت هذه الظروف المريحة الكثير من أبناء مزاب للإقبال على الدراسة .

وقد كان شيوخ وادي مزاب يحفون أبنائهم بالرعاية والتوجيه، ماديًا وأدبيًا ، فهذا الشيخ أبي إسحاق اطفيش منذ أن حل بتونس كان يتفقد أحوال الطلبة، وينظم البعثات العلمية الطلابية الوافدة من منطقة وادي ميزاب، رفقة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان[43] كمراقبين للبعثة الطلابية[44].

إن منهج المشايخ والعلماء كان يقوم على حسن تربية الطلبة على الأخلاق الفاضلة، والتمسك بتعاليم الدين، والنهل من العلوم والمعارف العصرية، وهي من سمو الأهداف التي سعى من أجلها المشرفين على الطلبة، في هذا الصدد يرى الشيخ إبراهيم اطفيش أن التعليم الديني يعد من أصول الحياة بعد الإيمـــان، ومن ثم يجب تقوية الشعور الديني في شخصية الشباب، حتى يتحملوا المسؤولية التي تنتظرهم في وطنهم ومواجهة الواقع البائس، من فساد وتخلف فكري في مجتمعهم، وبث فيهم روح الحس القومي والسياسي لمقاومة الإستعمار[45] .

يشير الجابري أن الحركة التعليمية في تونس بدأت بمبادرات فردية، سمحت لبعض الطلبة المزابيين بإتمام دراستهم بجامع الزيتونة والمدارس المحيطة بها، ثم توالى تدفق

---

42 نفســـه ، ص 218.

143إبراهيم أبو اليقظان(1306هـ/1888-1393هـ/1973) من العلماء والمصلحين المزابيين، درس في معهد الشيخ القطب الحاج محمد بن يوسف اطفيش، أتم دراسته بجامع الزيتونة، عاد إلى الجزائر وأسس العبيد من الصحف، و كان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ، ترك الشيخ العديد من التآليف، للمزيد ينظر :مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 27 وما بعدها .

44حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا : نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية (1905-1962)، ج1، ط 1، دار البعث ، الجزائر ، ص 190.

45إبراهيم اطفيش، كلمة في التعليم ، مجلة المنهاج ، ج1، ، محرم – صفر 1345 هـ/1925م ، ص4

المزابيين على شكل جماعات مؤطرة ومنظمة، تحولت إلى حركة جماعية تحت إشراف زعماء الحركة الإصلاحية[46] .

كان العلماء المزابيون يتحملون الإشراف على هذه البعثات، وجمع نفقات الطلبة كل سنة، ومتابعة شؤونهم، وضبط نظامهم الداخلي.وضمت البعثة العلمية في البداية مجموعة من التلاميذ لم يكن عددهم يتجاوز عشرة تلاميذ، نذكر منهم دحمان بن الحاج بكير المرموري، وحمو بن عيسى المرموري، سعيد بن الحاج إبراهيم المرموري وغيرهم[47].

الجدير بالتنويه هنا، أن هؤلاء الطلبة الذين تخرجوا من جامع الزيتونة ، ونهلوا من مختلف المعارف الشرعية والعقلية، وتشبعوا بالفكر الإصلاحي، وحضروا مجالس العلماء والمشايخ الزيتونيين، نقلوا هذه التجارب والخبرات إلى وطنهم، وتحملوا عبء النهضة العلمية[48] .

3-3الحضور العلمي والأدبي للطلبة المزابيين في تونس :

أقبل المـزابيون على مدارس ومعاهد تونس كالمدرسة "القرآنية" التي كان يديرها الشيخ محمد الصفر، ومدرسة "السلام"، تحت إشراف الشيخ إبراهيم اطفيش و أبي اليقظان حيث كانوا يحفون الطلبة بالرعاية، ويقدمون لهم المساعدات المادية والمعنوية، ومراقبتهم أدبيًا وأخلاقيًا .

ونظرا لهذا الاهتمام والرعاية من العلماء المزابيين، فقد تزايد عدد الطلبة المقبلين على مدارس ومعاهد تونس عقب الحرب العالمية الأولى، وحرص العلماء على حسن تنظيم هذه البعثات الطلابية، وتفعيل نشاطاتها الأدبية والفكرية في النوادي العلمية والأدبية، من محاضرات وندوات فكرية وأمسيات شعرية، ساهمت في إيقاظ الحس القومي والإصلاحي لدى الطلبة الجزائريين .

كان من بين الطلبة المزابيين المحظوظين للمشاركة في الحركة الأدبية والتعليمية شاعر(الثورة الجزائرية) مفدي زكريـــاء، الذي كان يزاول دراسته في مدرسة "السلام" والمدرسة "الخلدونية"، ثم التحق بجامع الزيتونة، وكان من بين الطلبة النجباء الذين

46 الجابري ، مرجع سابق ، ص 98.

47 بن رحال يمينة: "البعثات العلمية الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر 2018، ص163.

48معمر شعشوع، مرجع سابق، ص 51.

شاركوا وحضروا مسامرات الأدب التونسي، وقد جمعته صداقة قوية مع الشاعر أبي القاسم الشابي[49] ورمضان حمود[50]، هذا الذي كان مرافقا له ضمن البعثة الطلابية الميزانية .

لعل أول نشاط أدبي بارز للشاعر مفدي زكريا هو نشره لقصيدة شعرية وجهها إلى الريفيين، ألهب فيها الحس القومي، وشجع ثورة الريفيين بالمغرب الأقصى، وهذا يدل على النضج السياسي والفكري للطلبة المزابيين وارتباطهم بالقضايا المصيرية للمغرب العربي[51] .

كما أقيمت أمسيات وسهرات فنية وأدبية للترويح عن النفس، وإظهار الشجاعة الأدبية، ونظمت برامج رياضية ترفيهية كل نهاية عطلة الأسبوع، كالخروج إلى الغابات والشواطيء، ولعب كرة القدم وتعلم السباحة والاستمتاع بجمال الطبيعة[52] .

وقد أشاد الشيخ عبد الحميد بن باديس بالبعثات الطلابية المـزانية في مقال نشره سنة 1921م تحت عنوان:" نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية "بقوله"إن الشعور الوطني إذا أفعم القلوب لابد أن تظهر ثمراته في الأعمال حتى تبلغ الأمة غاية الكمال...وهاهم أولاد إخواننا(المزابيين) سرى فيهم شعور صحيح، فولعوا بالتقدم وأخذوا يتمسكون بأسبابه بجد واجتهاد، أخذوا في طريق التجارة حتى ملكوا أزمتها وصاروا العضو القوي الإسلامي بالجزائر فيها، وهاهم اليوم يسعون في طريق العلم، ويرحلون في طلبه وأخلق بهم أن ينالوا منه ما يريدون...حللت بتونس فاستدعني جماعتهم إلى الحضور عندهم في دارهم ليلاً، فلما فرغنا من العشاء خرجت إلى صحن الدار المتعلمة بالمدارس التونسية، على

49أبوالقاسم الشابي (1919-1934) أحد الشعراء البارزين في تونس، درس في جامع الزيتونة وتحصل على شهادة التطويع، أتم دراسته بكلية الحقوق التونسية، عان في حياته من مرض القلب أجهده جسديا وفكريا، وساءت حالته مع أواخر 1933م مما اضطره إلى ملازمة الفراش، انتقل الى جوار ربه عام 1934 للمزيد ينظر :مجيد طراد، شعرائنا ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتاب العربي ، ط2، بيروت ، 1415 هـ/1994م ، ص 9 وما بعدها .

50 رمضان حمود (1906-1929م) شاعر وكاتب من أعلام وادي ميزاب ومن تلامذة البعثة العلمية الميزابية، له إسهامات في الأدب وخاصة الشعر، وكتب في الصحافة الجزائرية " وادي ميزاب " و الشهاب " و" البصائر "، ترك مجموعة من القصائد الشعرية تحت عنوان "بذور الحياة "و " الفتى" ، نعـــاه في وفاته عام 1929 الشيخ عبد الحميد ابن باديس في جريدة "الشهاب" ، للمزيد ينظر :مجموعة باحثين، معجم أعلام الإباضية ، ج2 ، مرجع سابق ، ص ص 129-130.

51مجموعة مؤلفين، إلى الريف المغربي الثائر من ابن الجزائر"، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر ، 2019، ص6.

52بن رحال بن يمينة ، مرجع سابق، ص 164.

الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية واللغة العربية والفرنسوية مع حفظ القرآن، فاصطفوا بنظام وشنّفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية وتحاوروا بالمناظرة القلمية، فرأينا منهم أهلّة توشك أن تكون أقمارًا، وغروسًا طيبة أن تجني ثمارًا"[53].

تواصلت البعثات الطلابية المـزانية إلى تونس عقب الحرب العالمية الأولى، حتى غداة استقلال الجزائر، وكان القائمون على هذه البعثات على اتصال بزعماء الحركات السياسية والإصلاحية في المغرب العربي، مما ساهم في تنوير الطلبة المزابيين وتوعيتهم، ويمكن أن نشير هنا - على سبيل المثال لا الحصر - انضمام المزابيين إلى الحزب الدستوري التونسي بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي[54]، حيث كانت مقار البعثات الطلابية المزانية في تونس مزارا للشخصيات البارزة التي أشادت بحسن تنظيم الطلبة ومستواهم العلمي كالشيخ عبد الحميد ابن باديس، وسليمان الباروني، وحسن عبد الوهاب ونورالدين محمود ومشايخ جامع الزيتونة؛ من بينهم محمد الزغواني، ومحمد المختار، ومحمد الفاضل بن عاشور وغيرهم[55].

4- تأسيس المدارس والمعاهد الحرة في وادي مــزاب:

عقب الحرب العالمية الأولى برزت جهود المصلحين للنهوض بالتعليم، وتطوير مناهجه ووسائله، ففي البداية شرع العلماء في توعية المزابيين بأهمية التعليم ودوره الخطير في المجتمع، خاصة وأن حالة التعليم كانت متدهورة بقصور وادي مزاب، يغلب عليه الطابع التقليدي.

لقد واجه المصلحون تحديات جمة لتأسيس المدارس القرآنية الحرة، فقد كان هذا التعليم محفوفا بالمخاطر والمضايقات من الحكام العسكريين والقياد ومعاونيهم، فكثيرا

53 عبد الحميد ابن باديس :" نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية " مجلة الصديق، ع19 ، سبتمبر1921.

54 عبدالعزيز الثعالبي:(1879-1944م) أحد الزعماء الإصلاح والمناضلين السياسيين في تونس مؤسس الجزب الدستوري، نفته السلطات الاستعمارية عام 1923م، وبقي يناضل خارج وطنه ، أسس عدة صحف عربية، للمزيد ينظر:صالح خرفي، عبدالعزيز الثعالبي من آثاره وأخباره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

55 الحاج موسى بن عمر، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام وادي ميزاب، رسالة دكتوراه في الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر02، 2007/2008م ، ص ص 125-126.

ما كانت تداهم هذه المدارس من طرف البوليس، وتخضع للتفتيش واستنطاق الأساتذة والمعلمين[56].

لهذا تظاهر المشرفون على التعليم الحر أمام السلطات الفرنسية على أن نشاطهم مجرد كتاتيب قرآنية تقليدية(محاضر)، وتارة أخرى تنشأ مدارسهم الحرة بالقرب من المساجد أو لصيقة بها محسوبة على مرافق المسجد وهياكله حتى لا تخضع للرقابة الاستعمارية [57].

ومع ذلك اضطر المعلمون أحيانا إلى تعطيل دوام الدراسة، وإلزام التلاميذ البقاء في البيوت ريثما تنتهي زيارة الحاكم ومعاونيه، ثم تستأنف الدراسة بعيدا عن عيون الإدارة الاستعمارية.

رغم هذه الصعوبات إلا أن عزيمة العلماء كانت قوية لبعث الحركة التعليمية، لذلك قام الشيخ بيوض بنشاط حثيث لتوعية المزابيين وإشراكهم لبناء وتموين المدارس الحرة، والإنفاق عليها لتجهيز أقسامها وهياكلها، ودفع مرتبات المعلمين والأساتذة[58].

ولما كثر عدد الطلبة والتلاميذ المقبلين على الدراسة في وادي مـزاب، شرع العلماء والمصلحون في تأسيس الجمعيات الخيرية لرعاية التربية والتعليم في قرى ومدن وادي مزاب، وقد كانت هذه الجمعيات في البداية تنشط سراً، ثم أعلنت عن نفسها حين اقتضت الظروف ذلك، من بين هذه الجمعيات التي اعتمدت: جمعية الإصلاح بغرداية عام 1928م، ثم جمعية الحياة بالقرارة التي أسسها الشيخ بيوض بمساعدة الشيخ عيسى خبزي[59]، ثم جمعية النهضة بالعطف في 1945م، وجمعية النور ببنورة عام 1945م،

56قاسم الشيخ بلحاج، التعليم القرآني في الجزائر ودوره في ترسيخ معالم الهوية العربية، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا(الماضي، الحاضر، المستقبل)، يوم 3-5 جمادى الأولى 1440هـ الموافق لـ 9-11 يناير 2019م(غير منشورة) ص 117 .

57 قاسم الشيخ بلحاج، مرجع سابق، ص117

58نفســـــــه.

59عيسى خبزي(1305هـ/1887م-1375هـ/1955م)من أعيان وادي ميزاب، ساند الحركة الإصلاحية ووقف إلى جانب الشيخ بيوض، تولى رئاسة الجماعة الميزابية ببسكرة ، وعمل على تأسيس مدرسة الإخاء .للمزيد ينظر:معجم أعلام الاباضية، ج02، ص 331.

وجمعية الاستقامة ببني يزقن، فجمعية الفتح ببريان عام 1947م، ثم جمعية النصر بمليكة عام 1960م[1].

وتجدر الإشارة هنا، أن المدارس التي أسسها الشيخ إبراهيم بيوض سواء بالجنوب أو الشمال ساهمت بقسط كبير في التقارب بين أتباع المذهب المالكي والإباضي، إذ لم تقتصر على تدريس أبناء وادي مزاب بل استقطبت إليها كل أبناء الجزائر، وبرز التعاون والاندماج بين التعليم الإباضي والتعليم المالكي، وكان ذلك جليا في مدرسة "الإخاء"[2] بمدينة بسكرة، استقطبت إليها الطلبة والأساتذة الإباضيين والمالكيين على حد سواء، كالشيخ الطرابلسي الإباضي[3] والشيخ الطيب العقبي بن محمد ناجي المالكي[4] وتولى إدارتها

1 الحاج عيسى بن عمر، مرجع سابق، ص ص 128-129.

2 تأسست مدرسة الإخاء عام 1931م بمدينة بسكرة بمبادرة من جمعية خيرية كانت تضم مجموعة من من المحسنين، كان يشرف عليها الشيخ محمد الطرابلسي المزابي، وعمر البسكري، للمزيد ينظر :رابح دبي، السياسة التعليمية في الجزائر ودور الجمعية في الرد عليها(1830-1962)، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 02، قسم علم النفس وعلوم التربية، 2010-2011، ص ص 59-60.

3 محمد بن إبراهيم الطرابلسي(1304هـ- 1885م/1367هـ- 1948)لقب بطرابلسي لولادته ونشأته بطرابلس الغرب، تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه، وفي عام 1904م انتقل إلى وادي ميزاب حيث درس على يد الشيخ القطب الحاج امحمد بن يوسف اطفيش والشيخ عبد القادر المجاوي، انتصب للتدريس بطرابلس الغرب ووادي ميزابكما آزر رجال الحركة الإصلاحية في الجنوب والشمال، كانت له اتصالات بشيوخ جمعية العلماء المسلمين كالشيخ خيرالدين والطيب العقبي، ترك مقالات عديدة متناثرة في صحافة أبي اليقظان للمزيد ينظر:معجم اعلام الاباضية، ج02، ص 260.

4 العقبي بن ناجي (1898- 1968م) عالم ومصلح من مدينة بسكرة، انتقل للتدريس بمدرسة الإخاء عام 1931م، ثم عينه الشيخ ابن باديس معلماً في مدرسة سطيف عام 1938م، ومدرسا في مدارس قسنطينة ووهران، ساهم في الكتابة على أعمدة صحف جمعية العلماء المسلمين في الشهاب والصائر والمنار، للمزيد ينظر : مجموعة مؤلفين، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2014، ص 315.

إدارتها الشيخ محمد خير الدين، كما عين عيسى خبزي[1] أمين مال مدرسة الإخاء لخبرته وتجربته السابقة في المدارس الإباضية[2].

وقد زار الشيخ عبد الحميد بن باديس مدينة بسكرة، وأُعجب بهذه المدرسة العصرية التي جمعت الطلبة المالكيين والإباضيين برباط الأخوة والعلم، لكن هذه المدرسة لقيت نفس مصير المدرسة الصديقية، وأغلقتها سلطات الاحتلال الفرنسي عام 1934[3].

4-1تحديث المناهج والمقررات الدراسية :

لقد حرص زعماء الحركة الإصلاحية على تطوير التعليم ليواكب العصر وتحدياته، والتفتح على العلوم العصرية واعتمادها في المقررات المدرسية، وهذا ما عبر عنه الشيخ إبراهيم اطفيش بقوله :"لا أخال مسلما على وجه البسيطة يستخف بفن من الفنون سواء أكان من الفنون الدينية أو الحيوية... هلكت الأمة بترك سنة الله في الكون وإهمال البحث عن واجب الحياة وموجب الفلاح"[4]

إن جل المدرسين والمعلمين هم من خريجي المعاهد التونسية، حاصلين على شهادات تؤهلهم لممارسة مهنة التدريس وفق مناهج ومقررات حديثة، متأثرين بالفلسفة الإصلاحية لمشايخهم، الشيء الذي مكنهم من اختيار البرامج والمقررات بكل حرية.

كما انتقد المصلحون طرق التدريس التقليدية، فقد لاحظ الشيخ اطفيش في بعض حلقات التدريس؛ أنّ المدرسين يلقنون الطلبة بعض المسائل الفقهية الشائكة والمعقدة، تتضارب فيها الآراء والأقـــوال بين الضعيف والقوي ، وبين الحــق والباطل ، فتضطرب عقول الناشئة " ... ويتيهون في أودية الحيرة وهم في بداية الطريق متشعبًا ..."[5].

1عيسى خبزي(1305-1375هـ/1887-1955م)من رجالات القرارة الذين عاضدوا الشيخ بيوض في حركته الإصلاحية والتعليمية، تولى رئاسة الجماعة المزابيـــة ببسكرة، شارك في تأسيس مدرسة الإخاء ، للمزيد ينظر: معجم اعلام الاباضية، ج02، ص 331.

2أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة ، 2005/2006م، ص 92

3 أسعد لهلالي، المرجع السابق، ص 92.

4 إبراهيم أطفيش، الدعاية إلى سبيل المؤمنين، جمع وتقديم الحاج أحمد بن حمو كروم، مطبوعات الجمعية الثقافية القطبية وجمعية إبراهيم اطفيش، غرداية الجزائر، ط1431هـ/2010م، ص4.

5 اطفيش ، الدعـــاية... ، مصدر سابق ، ص 5.

وحثّ المدرسين على حسن معاملة تلاميذهم على الأخلاق الفاضلة؛ والابتعاد عن الغلظة والقسوة في القول والعمل، ذلك أنّ المعلم مثل الأب يغرس في نفوس أبنائه فضائل الأخلاق، وقدوتهم في التربية والتعليم "...فقد كانت مجالس السلف الصالح ذات وقار وأدب وهيبة حسنة "[1].

من ناحية أخرى يلـــح الشيخ اطفيش على المربـــين أن يضفوا على مجالسهم جوًا من الترفيه لكسر الملل والروتين من جهة، وأن يشجعوا التلاميذ على التنافس، وتحفيزهم بالوسائل التي يرونها ملائمة "...ففي النفوس ميل طبيعي إلى الحمد والثناء ...فالواجب على المعلم استثـــارة غريزة الجد والنشاط والمثابرة بالثناء على التلميذ "[2]

لقد حرص المصلحون على تطوير التعليم، وتجنّب أخطاء الماضي، خاصة بعد استحداث قانون "وحدة التعليم"، حيث مكّن هذا القانون من توحيد البرامج والمقررات بين كل المدارس الحرة، وعين الشيخ "عدون شريفي"مفتشا عاما للمدارس الحرة، وأستاذا لمعهد الحياة لتدريس العلوم الشرعية والعربية، والإشراف على تنفيذ توصيات الملتقيات وقرارات هيئة وحدة التعليم [3].

من هذا المنطلق، حارب المصلحون الجمود في التعليم، وأخذوا بأسباب التطور، وجدّدوا مقررات الدراسة، فأنشئوا هيئة تدعى" الرابطة التربوية" تضم كل المعلمين ومديري المدارس، تجتمع دوريا لتقييم النشاط التعليمي، وتبادل وجهات النظر حول الإشكاليات والمستجدات.

4-2تأسيس معهد الحياة ودوره التربوي و التعليمي:

يعد معهد الحياة منارة علمية في قلب وداي مزاب، تأسس هذا المعهد ليقاوم الجهل والأمية، و سياسة المحتل الفرنسي يوم 28 شوال 1343 الموافق ليوم 21 ماي 1925، في دار الشيخ بيوض[4]، حيث أقام حفلاً بمناسبة افتتاحه، حضره جمع غفير من أعضاء حلقة

---

1 إبراهيم أطفيش، مصدر سابق ، ص 05

2نفســـــه، ص 6.

2نفســـــه ، ص 05

3 قاسم الشيخ بلحاج ، التعليم القرآني في الجزائر ودوره في ترسيخ معالم الهوية العربية، مرجع سابق.ص 130.

4إبراهيم عمر بيوض (1899- 1981م) من علماء وادي ميزاب، حفظ القرآن مبكرا، درس على يد الشيخ يوسف العطفاوي، في معهد الشيخ الإبريكي، ومعهد الشيخ عمر بن يحي، وفي عام 1925 أسس معهد

العزابة، وأعيان البلد، كان من أبررزهم الشيخ الحاج بكير العنق الذي أبدى فرحته لافتتاح المعهد[1].

وقد سطّر الشيخ بيوض أهداف معهد الحياة بقوله " معهد الحياة المؤسس عام 1925 هو الدين والخلق قبل الثقافة ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد" [2]، وتتجلى أهدافه في بناء الفرد المسلح بالإيمان والعقيدة الصحيحة، والاهتمام بالتعليم العربي الحر، ونشر اللغة العربية والعناية بالتاريخ الإسلامي للمحافظة على المرجعية الوطنية.

ولعل أسمى مقصد من إنشاء المعهد هو إعداد شباب قادر على تحمل المسؤولية حيث يقول الشيخ بيوض: " أيها الشباب المتعلمون إن الدولة دولتكم، وإن الدور دوركم اليوم لكم، وبيدكم مقاليد المستقبل وانتم أقدر الناس على تحويل اتجاه الأمة إلى حيث تريدون، وأنكم الأئمة، والأمة لكم، بل إنكم أنتم الأمة لو عرفتم قدركم" [3].

4-3نظام المعهد ومقرراته التعليمية:

تميز النظام التعليمي في معهد الحياة بالطابع العصري، وقد حرص الشيخ بيوض منذ تأسيسه على عصرنة مقرراته الدراسية التي تواكب العصر؛ فإضافة إلى العلوم الدينية من عقيدة وفقه وتعليم قرآني، اهتم المعهد بتدريس العلوم الدنيوية كالرياضيات والفلسفة، وغيرها من العلوم الحديثة [4].

وقد ساهمت بعض الجمعيات العلمية والأدبية في انتعاش التعليم داخل المعهد، فجمعية الشباب التي تأسست عام 1345هـ/1926م، قامت بنشاطات أدبية وثقافية حثيثة

الحياة وتولى التدريس فيه، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م، رشح نفسه كنائب عن منطقة ميزاب في المجلس الجزائري، دافع عن مسألة فصل الصحراء عن الشمال، كما شارك في الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال استمر في نشاطه الإصلاحي، ترك الشيخ بيوض بعض الآثار في تفسير القرآن والفتاوى، للمزيد ينظر: مسعود فلوسي، الإمام الشيخ إبراهيم عمر بيوض وتفسيره " في رحاب القرآن"، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، يومي 13أو14 أفريل 2000م، مطبوعات جمعية الحياة، القرارة، غرداية، 2002م، ص 13 وما بعدها.

1 محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، ص 27.

2كمال عويسي-محمد حبي، دور مؤسسات التعليم بوادي ميزاب في الحفاظ على الهوية الوطنية معهد الحياة 1925م بغرداية، مجلة المواقف، ع1، جامعة معسكر، ديسمبر 2015، ص 337.

3 سعيد بن بلحاج شرف، معهد الحياة نشأته وتطوره، ط2، جمعية التراث ، غرداية، ، الجزائر، 2009، ص62.

4كمال عويسي، مرجع سابق، ص 339.

تفاعل معها طلبة المعهد، فنظّمت المسابقات العلمية، والأمسيات الشعرية التي تبارز فيها الشباب المزابي، تفتقت مواهبهم وقدراتهم الفكرية[1].

والجدير بالتنويه هنا أن هذه النشاطات داخل معهد الحياة جسدت الحس الوطني والوعي الثقافي، إذ أن المسرحيات والقصائد الشعرية، كانت مستوحاة من واقع المجتمع الجزائري معبرة عن ألامه وآماله في التحرر من قيود المستعمر الفرنسي، وبعبارة أخرى فان فلسفة الشيخ بيوض تتمثل في ربط التعليم بواقع الجزائريين، ومعالجة مشكلات الحياة ومواجهة التحديات .

لم يقتصر نشاط المعهد وجمعية الشباب على الجانب الأدبي والفكري، بل تعداها إلى الجانب الصحفي، فتأسست مجلة" الشباب"، التي تعد منبرا إعلاميًا تنافست فيه أقلام الطلبة بإبداعاتهم ومواهبهم المختلفة، التي أخذت أيضا شكل معلقات حائطية مزينة بالرسوم والألوان، ساهمت في نشر الوعي الوطني بين الطلبة[2] .

5- موقف الإدارة الاستعمارية من التعليم العربي الحر بوادي مزاب:

لا شك أن تأثير رجال الإصلاح المزابيين في توجيه الحركة الطلابية الميزانية، قد أثار قلق سلطات الاحتلال الفرنسي، وتنبهت إلى مخاطر هذه الحركة في إيقاظ الحس القوي والسياسي للجزائريين بعد عودتهم من تونس، لهذا اتخذت العديد من الأساليب والتدابير لقمع الحركة التعليمية، فشرعت في التحرّي عن الطلبة داخل المؤسسات التعليمية سواء بجامع الزيتونة أو بالمدارس والمعاهد الحرة بالجزائر.

وبناء على تقارير الدوائر الأمنية الفرنسية، فان سلطات الاحتلال شرعت في تشديد الرقابة على نشاط الطلبة المزابيين في تونس والجزائر، لهذا خضعت المدارس المحيطة بجامع الزيتونة إلى رقابة شديدة من سلطات الاحتلال الفرنسي كمدرسة السلام التي كان يتردد عليها أبناء وادي مزاب، واستنطاق المشرفين على البعثات الطلابية، فهذا الشيخ أبو إسحاق اطفيش ورفقائه كانوا محل رقابة أمنية دقيقة[3]و علاقتهم بالنخبة التونسية ، [1].

1نفســـــه، ص 339.

2 نفســـــه.

3أشار التقرير الفرنسي إلى نشاط الشيخ اطفيش، وذكر معلومات مستفيضة عن حالته المدنية الاسم واللقب وتاريخ ومكان الازدياد ، ووضعية السكن، ومعلومات عن الأصول ، وحالتهم الإجتماعية

وفي الجزائر شدّدت سلطات الاحتلال الفرنسي الخناق على التعليم بوادي مزاب، فحسب التقارير الفرنسية، فان جمعية "الإصلاح" التي كان يرأسها الشيخ صالح بابكر، هي جمعية تهتم بتلقين العلوم والآداب، ووصفها التقرير بأنها" تهتم بالمسائل السياسية ذات التوجه الوطني، ومن ثم يجب أن تكون محل مراقبة خاصة جدا"[2].

لقد اعتبرت فرنسا التعليم العربي الحر خطرا يهدد وجودها ومستقبلها، لأن " مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية، والإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية"، لذلك سارعت إلى اتخاذ جملة من القرارات، من بينها تشديد الرقابة على نشاط رواد الحركة الإصلاحية؛ومنع العلماء من التجول في الجنوب الجزائري الخاضع للحكم العسكري، وفرض الإقامة الجبرية على العلماء، مثل ابن باديس، الإبراهيمي، بيوض، التبسي.كما صنّفت الشيخ بيوض في الجنوب الجزائري من الشخصيات المثيرة للشغب، ومهددة للأمن والنظام الفرنسي، وأن الشيخ بيوض ينشط في معهده بالقرارة، ويحرض طلبته وأنصاره لانفصال الجزائر عن فرنسا[3].

وهكذا أدركت فرنسا خطر التعليم العربي، وحاولت محاربته بشتى الأساليب والطرق، ورغم سياسة التضييق والقوانين التي أصدرتها، إلا أن التعليم العربي بقي صامدا في وجه السياسة الاستعمارية، ويعبر عن مدى الوعي السياسي والثقافي الذي انتشر بين الجزائريين شمالا وجنوبا خاصة غداة الحرب العالمية الثانية .

خاتمة: توصلنا في هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- كان للمؤسسات التقليدية بوادي مزاب كحلقة العزابة والأوقاف الإباضية دورا مهما في نشر التعليم، والعناية بتحفيظ النشء القرآن الكريم ، وتعاليم الدين الإسلامي مما ساهم في الحفاظ على مرجعية المجتمع المزابي .
- لعبت البعثات الطلابية المــزابية في تونس دورا فعالا في بعث التعليم العربي، وتحديث مناهجه.

والمهنية، ومعلومات تتعلق بالمواصفات الفيزيولوجية للمشتبه فيه بخصوص الوجه والقامة ، وعلاقته بالنخبة التونسية. للمزيد ينظر:.A.N.T , Série Mouvement National ; Carton ; 19 , p n 02

1Ibid.

2الحاج موسى بن عمر، مرجع سابق ، ص 129.

3الحاج موسى بن عمر، مرجع سابق ، ص 134.

- ساهمت البعثات الطلابية بدور فعال في الحركة الوطنية التونسية، والحركة العلمية والأدبية، مما أدى إلى تلاحم النضال والوعي السياسي بين الجزائريين والتونسيين.
- مع بداية القرن العشرين شهدت الحركة التعليمية قفزة نوعية في وادي مزاب، تعززت بقوافل الطلبة القادمين من تونس، حيث ساهموا في تطوير التعليم وعصرنته .
- اتصال العلماء المزابيين بالشيخ عبد الحميد ابن باديس جعل التعليم العربي أكثر شمولية، خاصة بعد انضمامهم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931.وتأسيس مدرسة الإخاء التي ضمت الطلبة الإباضيين والمالكيين بمدينة بسكرة .
- إن التجربة المـــزانية في التعليم رائدة في مناهجها وأهدافها، جعلت المجتمع الاباضي متماسكا اجتماعيا، وفكريا، لا تعصف به تيارات الغزو الفكري.
- إن التجربة التعليمية المزابية ونجاعتها ساهمت في تكوين جيل متمسك بدينه، معتزا بهويته ، متفتحا على العلوم الدنيوية العصرية ، فما أحوجنا اليوم إلى هذا المنهج التعليمي القرآني لإصلاح ما أفسده الدهر.

قائمة مصادر ومراجع الدراسة:

1- ابن باديس عبد الحميد، " نهضة علمية بالحاضرة التونسية"مجلة الصديق، ع 19، سبتمبر1921م.

2- أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006/2005م.

3- أطفيش أبو إسحاق إبراهيم ، الدعاية إلى سبيل المؤمنين، جمع وتقديم الحاج أحمد بن حمو كروم، ، غرداية ، مطبوعات الجمعية الثقافية القطبية وجمعية إبراهيم اطفيش الجزائر، ط1431هـ/2010م.

4- اطفيش ابو اسحاق إبراهيم، "كلمة في التعليم "المنهاج ، ج1، محرم – صفر 1345 هـ/1925م.

5- البشير صفر محمد ، مفتاح في التاريخ، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1928.

6- بلحاج أوزايد، بوسليم صالح، الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب ودورها الاجتماعي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، م14، ع02 ، سنة 2012.

7- بن رحال يمينة: "البعثات العلمية الميزابية إلى تونس ودورها في تفعيل النهضة الفكرية الجزائرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر2018.

8- بن عمر لحاج موسى، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام وادي ميزاب، رسالة دكتوراه في الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر02، 2008/2007م.

9- بوراس الناصري عبدالله بن محمد، سبيل الخلود أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، الجزائر، مطبعة الشهاب ، 1965م.

10- الجابري محمد صالح ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962) ، الجزائر، دار الحكمة، 2007.

11- حشاني احمد:" نظام العزابة ودوره في تامين التماسك الاجتماعي للمجتمع الاباضي في منطقة وادي ميزاب"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع 09، ديسمبر 2020.

12- حمو محمد عيسى النوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا : نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية (1905-1962)، ج1، ط 1، دار البعث ، (د-س) الجزائر .

13- خرفي صالح ، عبدالعزيز الثعالبي من آثاره وأخباره، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995

14- دبوز محمد علي ، نهضة الجائر وثورتها المباركة، ج01، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

15- دبي رابح ، السياسة التعليمية في الجزائر ودور الجمعية في الرد عليها(1830-1962)، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 02، قسم علم النفس وعلوم التربية، 2010-2011.

16- سامية مقري، التعليم عند الاباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة(296هـ-409/909-1018م) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2005/2006م.

17- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830) ج02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

18- سعيد بن سليمان العيسائي، نحو تواصل ثقافي حضاري بين الشعوب "وكالة الجاموس " أنموذجا، الموقع الالكتروني https//alroya.com تاريخ الولوج 2022/11/30 الساعة 21.00..

19- شرفي سعيد بن بلحاج ، معهد الحياة نشأته وتطوره، غرداية، جمعية التراث ط2، الجزائر، 2009.

20- شعشوع معمر، الشيخ أبو إسحاق اطفيش وقضايا المشرق العربي(1888-1965)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02، 2011-2012.

21- طراد مجيد ، شعرائنا -ديوان أبو القاسم الشابي ، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2 ، 1415 هـ/1994م

22- عويسي كمال -محمد حبي، دور مؤسسات التعليم بوادي ميزاب في الحفاظ على الهوية الوطنيةمعهد الحياة 1925م بغرداية، مجلة المواقف، ع1، جامعة معسكر، ديسمبر2015.

23- عيادة علي، مظاهر الحركة التعليمية الحرة بمنطقة تبسة 1913-1954، مجلة روافد للدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 06(عدد خاص)، سنة.2022

24- فلوسي مسعود ، الإمام الشيخ إبراهيم عمر بيوض وتفسيره " في رحاب القرآن"، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، يومي 13أو14 أفريل 2000م، مطبوعات جمعية الحياة، القرارة، غرداية، 2002م

25- قاسم الشيخ بلحاج ، التعليم القرآني في الجزائر ودوره في ترسيخ معالم الهوية العربية، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا(الماضي، الحاضر، المستقبل)، يوم 3-5 جمادلى الأولى 1440هـ الموافق لـ 9-11 يناير 2019م(غير منشورة).

26- قاسم بن احمد الشيخ بالحاج ، "آثار النهضة العلمية التونسية في فكر الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خلال القرن العشرين ، مجلة الحياة ، ع 11، غرادية (الجزائر)، 1428هـ/2007م.

27- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر(من 1157هـ/1744م- إلى 1382هـ/1962م)، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص عقيدة، كلية العلم الإسلامية — الخروبة ، جامعة الجزائر، 2009/2008.

28- مجموعة مؤلفين ، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة ، الجزائر، 2014.

29- مجموعة مؤلفين، إلى الريف المغربي الثائر من ابن الجزائر"، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر ، 2019.

30- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية ، ج03، ط2، ، دار الغربالا سلامي بيروت، 1421هـ/2000.

31- مصباح عيسى- باجو مصطفى، الأبعاد المقاصدية لنظام حلقة العزابة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، م13، ع(2020).

32- ناصر محمد ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، الجزائر، مكتبة الضامري، (د.ت.ط) ،

33- ناصر محمد، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، ط2، 2013م 1983.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

1- A.N.T , Série Mouvement National ; Carton 19 , p n 02-